

العولمة وانعكاساتها على العالم الإسلامي

Rashid Saeed Shahwan*

Abstract:

This research studies the meaning of globalization, and its effect on the Islamic nation, and to point out the responsibility of Islamic duty to provide the substitutes to face the globalization and its challenges. It also makes a contract between its advantages and disadvantages, and it differentiate between the Ideological globalization and the modern techniques of its.

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى دراسة ظاهرة العولمة، وأثرها على منظومة القيم الإسلامية، وبيان مسؤولية الرسالة العالمية للإسلام في تقديم البدائل لمواجهة قيم العولمة وتحدياتها، التي تحاول صهر الثقافة الإسلامية في بوتقتها وتفقد ذاتيتها وهويتها وتميزها الإسلامي، وهذه البدائل تتمثل في قيم الإسلام الربانية العالمية، التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى للناس أجمعين.

ويقدم البحث منهجاً للنظر في سلبيات العولمة وإيجابياتها، بحيث لا ترفض العولمة بشكل مطلق، ولا تقبل بشكل مطلق، وإنما يفرق بين العولمة وأيديولوجياتها الفكرية والثقافية والتربوية وتوجهاتها نحو الهيمنة في الامتداد الاقتصادي والإعلامي وبين وسائل العولمة وتقنياتها العلمية.

وأمل أن تقدم هذه الدراسة إضافة مهمة في قراءة ونقد وتحليل العولمة، بمنهجية علمية متوازنة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث هدى ورحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يحاول هذا البحث دراسة ظاهرة من أهم الظواهر التي يمر بها العالم بوجه عام وأمتنا الإسلامية على وجه الخصوص، وهي قضية طغت على سطح الساحة العالمية بكل ملبساتها، وشاع استخدامها في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وانتهاء ما يعرف بالحرب الباردة بينه وبين الغرب، وقد أخذت هذه الظاهرة سمة بارزة في هذا العصر، بعد ثورة التكنولوجيا والاتصال، وتدفق المعلومات، واتساع الاستثمار والانتشار الواسع للشركات المتعددة الجنسيات، وتراجع النمط الاشتراكي وتلمس النمط الليبرالي، وهي تلامس القضايا الساخنة لواقع المسلمين وعلاقتهم الإنسانية والدعوية بالعالم، وما يواجهون من تحديات وما يعيشونه من مستجدات، من حيث إثارة المشاعر وعولمة الكراهية والعنف تجاه الإسلام وغير ذلك من أشكال التحيز ضد المسلمين، ولهاذ فإن هذه الظاهرة تفرض على الجميع فهمها، ومعرفة أبعادها وزواياها ومساراتها، وأثارها سلبية وإيجابية.

فيحاول هذا البحث أن يقدم دراسة وجيزة عن مفهوم العولمة وأصل هذا المصطلح وتطور مدلوله، يكشف فيها عن جوهر العولمة ومكمنها السيكولوجي وأبعادها النفسية في التمدد والانتشار على حساب الآخر وطمس هويته وخصوصياته، وإن ادعت أنها تبث التقدم العلمي والتكنولوجي وتنتشر الرفاهية بين الناس.

وتتناول هذه الدراسة تمحيص أهم قضايا العولمة، وبصفة محددة فوائدها ومخاطرها وكيفية التعامل معها، باعتبارها ظاهرة كونية شاملة تغمر كرتنا الأرضية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والتعليم والثقافة والإعلام والآلات العسكرية، وذلك بشكل عام مع التوجيه المناسب. ويحاول البحث تحليل مضمونها ومناقشة أبرز تحدياتها وسلبياتها، والإفادة من إيجابياتها من خلال القيم الإسلامية، بعيدا عن القولية والارتقاء في رؤية الآخر، وبعيدا كذلك عن الكتابات التي اكتنفت بالحساس والتحيز مواقف الخوف والرفض، أو الكتابات التي لا تبصر إلا الوجه المظلم أو الانكفاء على الذات، وذلك بمنهجية موضوعية متوازنة وتصور متكامل.

وقد جرى البحث في مساراته على التقسيمات التالية:

أولا: مفهوم العولمة وأصل هذا المصطلح.

ثانيا: تطور مدلول العولمة.

ثالثا: جوهر العولمة ومكمنها.

رابعا: فوائد العولمة وإيجابياتها.

خامسا: مخاطر العولمة.

سادسا: مواجهة العولمة وضوابط التعامل معها.

سابعا: الخاتمة، وقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

مفهوم العولمة وأصل هذا المصطلح

يحسن بنا بداية أن نقدم تعريف وتمييز للفرق بين مفهوم العالمية والعولمة، فنشير إلى أن هنالك فرق كبير بين المصطلحين فمصطلح العالمية يعني أن أبناء هذا العالم بمختلف قبائله وشعوبه ولغاته وملله ونحله، يعيشون على هذه الأرض، فلا بد أن يتفاهموا فيما بينهم، تمهيدا للتعاون الدائم على خير الجميع، ولا مانع من أن يأخذ بعضهم من بعض. ولا يجوز أن يفرض بعضهم على بعض لغته أو دينه أو مبادئه أو موازينه. فالاختلاف في هذا الإطار طبيعي جدا، والتعاون ضروري أبدا، لمنع الصدام والحروب والعدوان.

وهذه العملية العالمية قد تسمى بالثقافة الحضارية بين الشعوب والأمم، وهي واقع البشرية منذ أقدم العصور إلى اليوم، فاللغات تلاحقت والمجتمعات تعاونت والحضارات عبرت من مكان إلى مكان.

والحروب والمظالم التي قامت ويمكن أن تقوم بين أبناء البشرية، تستنكرها العقول السليمة، ومبادئ الأديان الحق، والمصالح المشتركة. لأن سعادة البشرية مطلوبة لذاتها، والتعاون فيما بينها على الخير أعظم الفضائل التي تقرها وتشجع عليها القيم الفاضلة، التي أجمع عليها البشر في هذه الحياة.¹

وأوضح مثال على ذلك الإسلام، فعندما جاء خاتم خاتما للأديان وهداية للعالمين، دعا الناس إلى عقيدته وشريعته وقيمه الأخلاقية، من خلال الدعوة الوادعة، والجدال الحسن، دون إكراه لأحد ومعتزفا بواقع الخلاف الموجود في الأرض، منطلقا من القرآن الذي يقول: {ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستيقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون}، سورة المائدة-الآية 48. وقوله تعالى: {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي}، سورة البقرة-الآية 256. وقوله تعالى: {وقل للذين أتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ}، سورة آل عمران-الآية 20. وقوله: {لا

¹ العالمية الإسلامية الثانية. د. محمد أبو القاسم حاج حمد، ج1، ص 35، موضوع التأسيس لمشروع العالمية، دار ابن حزم، طبعة ثانية، 1996.

العولمة وانعكاساتها على العالم الإسلامي

ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين}، سورة الممتحنة- الآية 85.

وهذا تاريخ البشرية عامة، وتاريخ الإسلام خاصة، لم يرد فيه دليل على أن المسلمين رسموا للبشرية طريقاً واحداً ووجهة واحدة وحكماً واحداً ونظاماً واحداً وعالمًا واحداً بقيادة واحدة بالإجبار والإكراه.

بل اعترفوا كما ذكرنا بواقع الأديان واللغات والقوميات، عاملوها معاملة كريهة، بلا خداع ولا سفة ولا طعن من الخلف، ولذلك عاش في المجتمع الإسلامي اليهودي والنصراني والصابئي والمجوسي وسائر أهل الشرك بأمان وأطمئنان.

وأما الأمم التي كانت تعيش خارج العالم الإسلامي، فقد عقد الدولة الإسلامية معها ميثاق ومعااهدات في قضايا الحياة المتنوعة. ومن الممكن مراجعة ذلك في الكتب التي تتحدث عن العلاقات الدولية في التشريع الإسلامي.²

والتوجيه الأساس في بناء العلاقات الدولية في الإسلام قوله تعالى: {يا أيها الناس إن خلفناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}. .

أما العولمة التي هي الترجمة العربية للكلمة الإنجليزية Globalization فهي مصطلح يعني جعل العالم عالماً واحداً، موجهاً توجيهها واحداً في إطار حضارة واحدة، ولذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبية.

يقول الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي عن العولمة: "نظام يمكن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح باقتراح المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق".

ويثبت هانس بيترمارتن وهارالد شومان، صاحباً كتاب فخ العولمة أن العولمة هي عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد في التغيير والأكل والملبس والعادات والتقاليد.³

تطور مدلول العولمة

شاع استخدام لفظ العولمة في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين، وبالذات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وانتهاء ما يعرف بالحرب الباردة بينه وبين الغرب.

ومن الأسباب المباشرة لبروز العولمة كسمة أساسية من سمات هذا العصر هي: ثورة التكنولوجيا والاتصال وتدفق المعلومات، واتساع الاستثمارات والانتشار الواسع للشركات المتعددة الجنسيات، وتقهر النمط الاشتراكي وتلمس النمط الليبرالي.

وأصلح يقصد بالعولمة: تطبيع العالم بالحضارة الغربية، وصياغة مستقبله حسب الأسلوب الغربي، وجعل العالم بحيرة تسبح في مياهها أسماك أمريكية.

والعولمة هي الوجه الملي للعلمانية لصيغ العالم عملياً بصيغة حضارية غربية وجعله قرية واحدة يضمها تقاليد وقيم أحادية القطب.

فهي حالة تطبيع عالمي، واقتحام المجتمعات والشعوب والدول ورسملة العالم في ظل هيمنة النظام الدولي الأحادي الأمريكي.

2. راجع أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، مطبعة جامعة دمشق، 1991، والأحكام السلطانية للماوردي.

3. أنظر: فخ العولمة، الفصل الأول، سلسلة عالم المعرفة الكويت.

وأما معنى هذا المصطلح في الموسوعات العلمية، فله عدد من المفاهيم والتصورات نذكر منها: العولمة (globalization) (الكونية) نظام دولي جديد يقوم على الإبداع العلمية والتقني وثورة الاتصالات والمعلوماتية، بحيث تزول الحواجز والحدود بين الأمم والشعوب والدول، ويسمى العالم وكأنه قرية كونية.⁴

وهي عملية تقودها القوى الفاعلة المؤثرة في النظام الدولي من أجل ترويج قيم وسلوكيات وسياسات ومفاهيم النموذج الغربي الرأسمالي بأبعاده السياسية والاقتصادية، وإقناعه عبر وسائل الإعلام الضخمة المسخرة لذلك بأن هذا قدر العالم، ومن يخرج عنه سيكون خارج الزمن.⁵

وأصل مدلول المصطلح اقتصادي ومالي، يشير على ما يجب أن يكون بين الدول من إزالة للحواجز أمام حرية التجارة، لإتاحة تنقل السلع ورأس المال، ويرى جمع من الباحثين أن عولمة الاقتصاد العالمي بدأت بقيادة أمريكا منذ عام 1944م، والتي انبثقت منها الصندوق الدولي ليقوم حارسا على النظام النقدي الدولي والبنك الدولي ليعمل على تخطيط التدفقات المالية طويلة المدى، وإنشاء منظمة التجارة العالمية التي أدت إلى اتفاقية الجات والتي حولت السياسة التجارية للدول المستقلة إلى شأن دولي وليس عملا من أعمال السيادة الوطنية، من خلال النظام النقدي العالمي والتحكم في حركة رؤوس الأموال، ومن خلال الشركات المتعددة الجنسيات التي لأمريكا فيها نصيب الأسد.⁶

ولكن هذا المصطلح قد تجاوز البعد الاقتصادي والمالي ليمس جميع جوانب الحياة سياسيا وثقافيا وأخلاقيا وتربويا.

فظاهرة العولمة في ظاهرها مرتبطة ارتباطا وثيقا بتقدم تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية. والتجارة والفاعلية الاقتصادية، وجوهر العولمة في ظاهرها يتمثل في سهولة حركة الناس والمعلومات والأفكار والسلع والأموال بين مختلف الدول على النطاق الكوني والكرة الأرضية جميعها.

ويبدو أن هناك ثلاثة ملامح تكشف عن جوهر العولمة: الأول: يتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس، والثاني: يتعلق بتذويب الحدود بين الدول، والثالث: زيادة التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات.⁷

جوهـر العولمة ومكـمـنها

في تقديري أن واقع ما ذكرناه يسير أن منبع العولمة ليس التكنولوجيا، بل مكنها سيكولوجي، يكمن في النفس وفي التمدد والانتشار على حساب الآخر، وأن ادعت أنها تبث التقدم العلمي والتكنولوجي وتنتشر الرفاهية بين الناس.

والذي يؤكد هذه الحقيقة التي أميل إليها أننا لو القينا نظره على دراسات المفكرين العرب عن العولمة،⁸ أمثال الدكتور حسن حنفي، والدكتور سيار الجميل والدكتور مصطفى محمود، والدكتور محمد عابد الجابري

⁴. M. Hors Man & A. marshal, After The Nation Stat London 1994.

⁵. أنظر: العولمة الجديدة، سيار الجميل ص39+49، طبعة بيروت 1997/ وانظر: الثقافة الإمبريالية، إدوارد سعيد، ص 48، دار الآداب، بيروت 1997.

⁶. العولمة، محمد سعيد زعرور، ط1، ص14، دار البيارق، عمان 1998. وانظر: العولمة: طبيعتها ووسائلها، تحدياتها، التعامل معها، د. عبد الكريم بكار، ص11، 13، دار الأعلام، عمان، طبعة أولى 2000.

⁷. أنظر: الثقافة العربية في زمن العولمة، ص11، د. أحمد مجدي حجازي، دار قباء، مصر 2000.

⁸. أنظر على سبيل المثال مقدمة: العولمة الجديدة، سيار الجميل وانظر: قضايا الفكر، د. محمد عابد الجابري، ص20، مركز الدراسات العربية، بيروت 1998م.

العولمة وانعكاساتها على العالم الإسلامي

وغيرهم، نجد أنهم جميعا يعرفون العولمة في إطار هذه الحقيقة، ومعظم مقالاتهم تلتقي على بيان هذا التصور، وهي أنها عملية اختراق كبرى للإنسان وتفكيره، وللذهنيات وتراكيبها وللمجتمعات وأنساقها، وللدول وكبائنها، وللجغرافيا ومجالاتها، وللإقتصاديات وحركاتها، وللثقافات وهويتها، وللإعلاميات وتدايعياتها.

ويسمونها أيضا ثقافة الاختراق، اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغاتها ودولها وأوطانها وأديانها حتى غدا العالم في نظرهم في خضوعه للعولمة، بدون دولة وبدون أمه ووطن لأنه حول هذا العالم إلى عالم المؤسسات والشبكات، وعالم الفاعلين والمسيرين، وعالم آخر هم المستهلكون للمأكولات والمعلبات والمشروبات والصور والمعلومات والحركات والسكنات التي تفرض عليهم.

وعاد الاستعمار الإقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي في نظرهم من جديد في صورة العولمة، باتفاقية الجات. والمنافسة الربح وبالاقتصاد الحر والتبعية السياسية، وتجاوز الدول القومية، ونشر القيم الاستهلاكية مع الجنس والعنف والجريمة المنظمة وينتهي بهم القول إلى أن العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتقريب الوطني من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يبقى منه الأخدام للقوى الكبرى.

وملخص القول: أن جوهر العولمة ومكمنها يعني نهاية التاريخ، وهو مفهوم يعني سيطرة النموذج الرأسمالي على العالم بعد انتهاء الشيوعية. كما تعني نهاية الجغرافية، وهي تعني اختراق الشركات المتعددة الجنسيات لحدود الدول. كما تعني نهاية الدول عن طريق التحرك تحت مظلة الشريعة الدولية للتدخل المباشر في شؤونها، وتعني أيضا نهاية الهوية أي القضاء على الخصوصية. كما أنها أخيرا تعني نهاية الايديولوجيا والتي تعني بدورها القضاء على الدين والأخلاق والقيم.

النشأة والتاريخ

يرى العديد من الدارسين أن مفهوم العولمة ومضمونها ليس أمرا جديدا، وإن هناك عولمتين، قديمة وحديثة.⁹

أما القديمة: فقد ظهرت مع الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، واستطاعت تنفيذ خطتها بزيادة إنتاج السلع وزيادة كبيرة. فدفعنا بأوروبا إلى البحث عن أسواق جديدة لاستيعاب منتجات المصانع. وللاستيلاء على مناطق جديدة لتأمين المواد الخام بأسعار منخفضة جدا، فكانت إقامة المستعمرات في آسيا وأفريقيا لتلبية رغبة الدول المستعمرة في تحقيق أكبر قدر من القوة الاقتصادية، وهو الأمر الذي اضطر الدول الفقيرة المستعمرة إلى الاندماج في اقتصاديات الدول الصناعية الكبرى والذوبان فيها.

أما العولمة الحديثة: فإن تحققها قد اعتمد على آليات ووسائل غير الاحتلال العسكري، وإنما قام على أساس تحرير التجارة الدولية والتنافس على النطاق الدولي. واعتمد على التقدم التكنولوجي في مختلف المجالات، وتسابق الدول على اقتنائه وإملاكه.

وتشكل المؤسسات الاقتصادية الكبرى من مثل: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التعاون للتنمية الاقتصادية، ومنظمة التجارة الدولية، أبرز مؤسسات العولمة، وتستطيع هذه المؤسسات أن تفرض سياستها التي تراها على الدول الفقيرة والضعيفة، وغالبا ما تكون القروض التي تقدمها هذه المؤسسات للدول النامية مشروطة بشروط تمس ثقافة الأمم وعقيدتها، حتى يسهل الاستيلاء على جميع مقدرات الشعوب.¹⁰

⁹. أنظر الهوية والعولمة، د. ناصر الدين الأسد، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الدورة

الأولى، موضوع الدورة، "العولمة والهوية"، الرباط، 1417هـ، 1997م، ص55، وما بعدها.

¹⁰. أنظر إيجابيات العولمة وسلبياتها، محمد الحبيب بلخوجة، ص93، وأكاديمية المملكة المغربية، الدورة الأولى.

وملخص القول أن العولمة ليست إلا ظاهرة جديدة، بدايتها الأولى ترجع إلى القرن التاسع عشر، مع بدء الاستعمار الغربي لآسيا وإفريقيا والأمريكتين، ثم اقترنت بتطور النظام التجاري الحديث في أوروبا، الأمر الذي أدى إلى ولادة نظام عالمي متشابك ومعقد عرف بالعالمية ثم العولمة.

وأرى أن هيمنة العولمة على العالم اليوم بمواصفاتها الشاملة نتيجة لتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والعلمية، تمشي مع طبيعة الأشياء في تاريخ الغرب الحديث، وتمثل المرحلة الأخيرة في محاولة الحضارة الغربية للسيطرة على العالم ومحو الآخر.¹¹

فوائد العولمة وإيجابياتها

إن الحذر من الهيمنة الأجنبية بوصفها نظاما للاختراق والنفوذ لا يعني الوقوف منها موقف المصدوم الذي لا يفتح فمه، أو المصاب الذي يفتح فمه بالصراخ واللعن، ولكن كما علمنا إسلامنا أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، فاستخدامنا لوسائل العولمة، وتطويع تكنولوجيا الاتصال وكل منتجات الصناعات الحديثة - التي تخدم العولمة ولكنها لا تعبر عنها - والاستفادة منها وربطها بفهمنا وتجاربنا وبارادتنا الإسلامية ومنظومتنا الثقافية، كل ذلك يقوي نهضتنا وينعشنا، ويشكل موانع طبيعة ضد الاختراق فليس كل جديد خطير على الأمة، وليس كل وافد شر محض علينا. ففي هذا الإطار لابد من تفاعل خلاق يقدم برامج ورؤى ومصطلحات مستمدة من تجاربنا وثقافتنا الخاصة، فنبادر بطرح قضايا كونية ملحة مثل تدفق الاتصال والمعلومات، حقوق المرأة، الانفجار السكاني، انتهاك الأطفال، أوضاع الأقليات، التمييز العنصري... إلخ. يمكن أن نحدد مفهوم (الإرهاب) وأنه لا يعني الكفاح من أجل تحرير الأوطان، ونوضح المقصود بحرية التعبير وأنها لا تشمل تجرح المقدسات والتنكر للتوابت. نستطيع أن ننتقد العبارات الأيديولوجية المتحاملة والظالمة والمتخلفة مثل (محور الشر) و(الحرب الصليبية). ونرفض ترديد عبارات مضللة مخاتلة مثل (الحرية للعراق) و(العدالة المطلقة) و(سلام الجليل) و(الحزام الأمني) و(التطهير العرقي) و(الملاذات الآمنة) وغيرها، ونقدم تعريفاتنا المستقلة للأحداث. يمكن أن نستخدم بفعالية أشمل تكنولوجيا الاتصال لا لتدعيم ثقافتنا المحلية فحسب بل لمد جسور الحوار وتبادل المعلومات مع الثقافات الأخرى. إن الإنسان عدو ما يجهل ومراكز الهيمنة التي تتبنى خطابا أحاديا فوقيا ربما تجهل الكثير عن حضارات الآخرين وثقافتهم وتاريخهم. يجب إذن أن نبدع خطابا تبادليا يتحدث عن خصوصيتنا الثقافية في الوقت التي يتلمس فيه أرضية مشتركة، ويشيد بالتنوع كظاهرة حضارية جميلة تخدم الاستقرار والتعايش على مستوى الكون. تفاعل (الجمهور النشط) مع تكنولوجيا الاتصال ربما حقق هذا الهدف.

إن الغرب الآن ليس بحاجة إلينا في التقنيات المتقدمة، بل نحن الأوج إلى ذلك كثيرا، ولكن الغرب يحتاج إلى قيمنا كما نحتاج إليه. ولو أخذنا بوسائل العولمة الحديثة التي يستعملها للتدمير، ووجهناها من خلال قيمنا وأخلاقنا إلى التعمير، لخدمناه وخدمنا البشرية جميعا، وخدمنا - قبل ذلك - أجيالنا، وحصانهم، كي لا يقعوا فريسة سهلة أمام مغريات العولمة الأمريكية الصهيونية اللادينية الإباحية.

يقول الدكتور عبد الحميد الغزالي: "بعد سقوط الاشتراكية وتبني جورباتشوف الليبرسترويك، التي أراد من خلالها أن يبحث عن طريق غير الرأسمالية؛ لأنه أعلم بمشاكلها - أرسل وفدا ليدرس النظام الإسلامي للاستفادة منه، وشكلت لجان في مركز الاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الأزهر من المتخصصين، وعكفت هذه اللجان على صياغة برنامج متكامل للنظام الإسلامي في شكل بنود وفقرات، قدمنا فيه نظاما اقتصاديا تشغيليا، يبدأ بفلسفة النظام والعمل والأجور، ونظام الملكية المتعددة، والاستهلاك، والاستثمار، والإدخار، والشركات، وصيغ الاستثمار، والسياسة النقدية، والسياسة المالية... إلى آخر مكونات النظام الاقتصادي الفاعل.

وعندما قدمنا هذا النظام للوفد، تساءل رئيسه الوزير "بافلوف": "لديكم مثل هذا النظام، وأنتم على هذه المسألة من التخلف؟" وأسندت أمانة المؤتمر الرد إلي، فكان ردي: "لأننا بعيدون تماما عن هذا النظام". ولكن

¹¹ أنظر: مقدمة فخ العولمة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، وانظر: ظاهرة العولمة رؤية نقدية. د. بركات محمد مراد، ص 115، 1313، كتاب الأمة، قطر.

توالت أحداث تفكك الاتحاد السوفيتي، ولم تعد القيادة الروسية الفرصة للاستفادة من هذا المشروع الذي أصر الوفد الروسي على مناقشته تفصيلا في جولة ثانية في موسكو... إلا أن الجولة المقترحة لم تتم بسبب هذه الأحداث.¹²

وفي إطار هذا التفاعل أيضا ينبغي علينا أن نستفيد من معطيات وأدوات ووسائل العولمة وما تقوم عليه هذه الوسائل من الإبداع العلمي والتقني وثورة الاتصالات والمعلوماتية، الحاسوب، الإنترنت، الهاتف، التلكس، الفاكس، الشاشات، ووسائل التثقيف، ومراكز المعلوماتية، ووسائل المواصلات الجوية والبحرية...، وذلك لأن العلم والتقدم العلمي إنجازات مشتركة بين البشر وميراث إنساني عام بين الشعوب، يتجاوز حدود الزمان والمكان والأوطان، ولذلك نجد أن كثيرا من الجماعات والدول الإسلامية لم تجذبهم ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ولكنهم استفادوا من وسائلها وأدواتها واستخدموا تقنياتها الحديثة للدعاية لمبادئ الإسلام، وترويج الخطاب الإسلامي الديني والسياسي وخدمة الثقافة والهوية الإسلامية، وفي فتح مراكز الحاسوب والبرامج الإسلامية، وإخراج موسوعات إسلامية، وأصبحت لهم مواقع على شبكة الإنترنت لخدمة الدعوة ونشر الإسلام، تتنافس الوسائل والمواقع الأخرى وتتفوق عليها،¹³ وكذلك استعمال التكنولوجيا في الحاسوب للتصاميم الهندسية والمشاريع العلمية، والمخططات الدقيقة التي قد لا يصل الإنسان إلى إنجازها بالسهل.

إن الأمم الضعيفة في مواجهة العولمة، هي التي تخسر كل شيء. وأما الأمم القوية التي تواجه العولمة وتندمج بها وتتفاعل معها، فهي التي تربح معركة المنافسة الحضارية مع العولمة.

إن التعامل مع دنيا العولمة لا يعني أن العولمة قدر مفروض يكسب الرهان دائما، ولا يعني أنه استسلام ذليل، وإنما التعامل القوي يعني التعايش معها، وتوظيف بعدها التكنولوجي والحضاري والاستفادة منه لمواجهة الهيمنة باسم العولمة.

ويمكننا أن نلخص فيما يلي أهم فوائد العولمة وإيجابياتها من وجوه أخرى في الصور التالية:

- من فوائد العولمة أنها كشفت لنا عن ثنائية المعايير الغربية والأمريكية التي يراد للعالم أن يحتكم إليها وازدواجيتها. فوسائل العولمة وجها لوجه أظهرت لنا هذه الحقيقة التي كانت خافية على الناس، وكشفت لنا عن حقائق صراع الأفكار، وعن زيفها وصدقها، كشفت لنا عن الديمقراطية الكاذبة وشعاراتها الكاذبة، وعن حقيقة الحريات الشخصية وما يسمى بحقوق الإنسان، في أمثلة حية شاهدة، في العراق وفلسطين والبوسنة وأفغانستان، وجوانتنا وغيرها فأين الأصوات الغربية التي تعارض الظلم الذي وقع على هذه الشعوب وغيرها بمسؤولية صادقة.

- ومن فوائد العولمة أنها كشفت عن الرقابة المزعومة والمستقبل الواعد والانتعاش والإصلاح الاقتصادي الكاذب وما فعلته السياسات في العالم من موت الناس جوعا وعطشا ومرضا ووباء لأنهم لا يملكون الدواء، في سبيل أن تحقق المزيد من الأرباح والمزيد من السيطرة والتحكم.

- ومن فوائد العولمة أنها كشفت عن النوايا الإجرامية في السياسات الداخلية والعالمية لبعض الدول، وكشفت الازدواجية الكاذبة في المعايير والكيل بمكيالين مثل ذلك حجاب الطالبة في فرنسا، والمرأة المصرية التي أسلمت والرجل الأفغاني الذي تنصر، وتنصير المسلمين سرا في إندونيسيا وجنوب أفريقيا وبنغلادش ودول الاتحاد السوفيتي السابق، فعندما تكون في مصلحتهم يدافعون عنها، وعندما تكون في غير مصلحتهم يحاربونها أو يسكتون عنها.

- من فوائد العولمة أنها فسحت المجال للتفاهم وعدم التصادم، والحوار الدعوي والحضاري والثقافي والمثاقفة.

¹² أنظر: العولمة والهوية، ضمن كتاب العرب والعولمة، جلال أمين، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 1998. وانظر: ظاهرة العولمة الأوهام والحقائق. د. فتحي محمد مسعد، ص40، مكتبة الإشعاع، الإسكندرية، طبعة أولى 1999، وانظر مقدمة كتاب قولبة الآخر (انتصار الهوية) للدكتور أحمد بن راشد.

¹³ مثل المواقع الإسلامية التالية: www.Islamonline.com / www.Forislam.com

فإن عدم انعزال الحضارات والشعوب عن بعضها البعض، بفصل وسائل العولمة، وانفتاح العالم على بعضه البعض، وكأنه من قرية صغيرة أو بيت واحد، وكل واحد\ فيه يؤثر ويتأثر بما يفعله الآخرين، فلاش أن هذا الوضع الخاص فتح المجال أمام الدعوة الإسلامية والحوار الديني باحترام متبادل - إذا صدقت النوايا - للوصول إلى قناعات جديدة من التعارف واحترام الشعوب بعضها البعض: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا} {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء}.

- من فوائد العولمة أنها كشفت لنا بأن الحق أبقى، وإن كان الباطل أقوى، ووضعت الخير والشر أمام الناس وجها لوجه، ولم يعد هناك شيء يعمل الخفاء، ووضعت المسلمين أمام تحديات لم تعد تخفى على أحد: {قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور}.

- وضعت العالم في المقارنة التي لا تخفى على أحد في تميز الحق من الباطل والخير من الشر، هذا ما عندكم وهذا ما عندنا: {أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون}. سورة القلم - الآية 36.

هذه النقاط الأساسية التي أردنا أن نستفيد منها في توظيف وسائل العولمة والانتفاع منها، انطلاقا من قيم الإسلام ومبادئه، وهناك نقاط أخرى متعددة الزوايا مثل انكشاف حال الأنظمة السياسية الفاسدة في العالم، وانكشاف الأوضاع المتردية وحالة الجهل والفقر والعجز في العالم، وظهور كثير من الأمور على حقيقتها، ولولا وسائل العولمة لم نكن لنعرفها من قبل بهذا الاتساع والوضوح.¹⁴

مخاطر العولمة

تتجسد مخاطر العولمة في جوانب كثيرة اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، وسوف نناقش أبرز تحدياتها في هذه الجوانب بشكل عام وما يناسب هذا المقام.

إن عولمة الفضاء الكوني في جميع مجالات الكرة الأرضية، وتحولها إلى قرية وبيت واحد عن طريق مئات الأقمار الصناعية التي تجوب الفضاء الأرضي، وترسل البرامج المتنوعة في كل يوم إلى كل عائلة من بلدان العالم، لتستقبلها أجهزة التلفاز والانترنت لتشكل في النهاية سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تعترف بالحدود الوطنية أو الفضائية أو البحرية، تقودها شبكات اتصالية معلوماتية من خلال سياسة العولمة واقتصادها وثقافتها وأفكارها وأنظمتها الاجتماعية، كي تقيم عالما جديدا يتسلل دون استئذان إلى عقول وقلوب البشر جميعا دون استثناء من دون رقيب من دولة أو أمة دين أو وطن.

وهذه الشبكات يعود معظمها إلى قادة العولمة من الرأسماليين والاحتكاريين الأمريكيين، وغيرهم ممن يدورون حولهم، لكي يمحووا ذاكرة الشعوب ويفرغوها من انتماءاتهم وأصالتهم وثقافتهم وأنظمتهم الاجتماعية، كي يقعوا صرعى أمام مغريات الحياة الرأسمالية الأمريكية وأنماطها الاجتماعية والأخلاقية في التفكير واللبس والأكل والترفيه، ودغدغة الأحلام والقيم والوعي، بحيث يسهل تكريس نوع معين من السلع والخدمات والأفكار، والذي يخضع إلى النظام المعولم الذي يرا له أن يسود العالم أجمع.¹⁵

ولأهمية هذا المجال الرهيب في عالم العولمة تم عقد أربع مؤتمرات دولية لبحث قضاياها (جينيف 1996، بوينس آيرس 1994، بروكسل 1995، جوهانسبرغ 1996)، نجح خلالها الأمريكيون من تسويق فكرتهم حول مجتمع المعلومات العالمي والضغط لفتح حدود أكبر عدد ممكن من البلدان أمام تدفق المعلومات.

إن العولمة الموجهة توجيها مباشرا من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها تريد عن طريق المخلب الاقتصادي أن تتمكن من الشعوب عن طريق استغلال حاجياتها الاستهلاكية وقتل المبادرات الوطنية، وتوجيه ثرواتها وهيكلتها اقتصاديا بتدخل مباشر من المؤسسات المالية والتجارية الخاضعة لها، والتي تغرقها بالديون

¹⁴ أنظر: العولمة الجديدة، سيار الجميل، ص39، 49. وانظر: ظاهرة العولمة، الأوهام والحقائق، د. فتحي محمد مسعد، ص40، مكتبة الإشعاع، الإسكندرية، 1999.

¹⁵ العولمة، د. عبد الكريم بكار، ص82، دار الأعلام، عمان، ط 1، 2000.

وفوائد الديون التي لا تتخلص منها ومن ويلاتهما، يساعد في ذلك مخططان آخران يمشيان جنباً إلى جنب بجانب المخطط الاقتصادي، وهما مخطط إخضاع الدولة الوطنية واستلاب الفكر والثقافة عن طريق الفضائيات الكونية التي تبثها مئات الأقمار الصناعية.

أما العولمة الثقافية فهي ليس سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام، تعزز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف، أي على العالم كله. إن هيمنة أمريكا ناتجة من أن 65% من مجمل المواد والمنتجات الإعلامية والإعلانية والثقافية والترفيهية تحت سيطرتها، ومن إنتاجها، هذا الأمر الذي أدى إلى توجس بعض الدول الغربية وخوفها على أجيالها.

إن المجال الإعلامي أكثر أوجه العولمة سلبية، إذ يسيطر أصحاب المصالح التجارية والاقتصادية على الإعلام، عبر التوظيف المالي والسيطرة الإدارية والفنية، ويستخدمونه في تشويه معرفتنا بالعالم ووعينا بأنفسنا ومعرفة الآخرين. أما العولمة الاجتماعية، فإنه لما كان المبدأ الذي ينطلق منه عالم العولمة من جعل العالم قرية كونية واحدة، تخضع للتوجيهات الأمريكية وحلفائها.¹⁶

وإن الوصول إلى مجتمع واحد ذي ملامح واحدة وأنظمة اجتماعية واحدة وأخلاق وعوائد واحدة سيكون من أولويات العولمة؛ لأن صياغة المجتمع صياغة واحدة، مما يسهل مهمة الأجنحة الهدامة الأخرى للعولمة في إفساد المجتمع وتفريغها من القيم الأصيلة، والأخلاق الحميدة النابعة من الأديان السماوية، والفطرة الإنسانية العقلية، حتى لا تقوم له قائمة من الرجولة والشهامة الكرامة أمام مخطط العولمة الرأسمالية الأمريكية اليهودية الجشعة.¹⁷

لقد دفعت العولمة الأمم المتحدة التي تسيطر عليها وعلى مقرراتها، ولاسيما في عقد التسعينيات إلى عقد مؤتمرات بعناوين متعددة لتغيير النظام العام في المجتمعات، ولاسيما نظام الأسرة.

- في عام 1950 حاولت الأمم المتحدة عقد الدورة الأولى لمؤتمراتها حول الأسرة والمرأة بعنوان: تنظيم الأسرة في القاهرة، لكن الحكومة المصرية يومئذ لم توافق على ذلك.

- وفي عام 1975 عقدت الأمم المتحدة مؤتمر المكسيك دعت فيه إلى جريمة الإجهاض للمرأة والحرية الجنسية للمراهقين وتنظيم الأسرة لضبط السكان في العالم الثالث، وأخفق هذا المؤتمر أيضاً.

- عقد في نيروبي عام 1985، مؤتمر بعنوان استراتيجيات التطلع إلى الأمام من أجل تقديم المرأة.

- مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة عام 1994، ودعا فيه إلى قضايا تغيير حياة المرأة والأسرة من الناحية الدينية.

- مؤتمر بكين عام 1995 تحت عنوان المساواة والتنمية والتنظيم.

- مؤتمر السكان والتنمية والتنظيم في اسطنبول عام 1996.

وتتضمن القرارات المقترحة أمورا، مثل: فرض حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية وأدواره المترتبة عليها، ومن ثم الاعتراف رسمياً بالشواذ والمخنثين، والمطالبة بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان، ومنها حقهم في الزواج وتكوين الأسر والحصول على أطفال بالتبني أو تأجير البطون، وتطالب وثيقة القرارات بحق الفتاة أو المرأة في التمتع بحرية جنسية آمنة مع من تشاء. وتطالب بحق المراهقات الحوامل في مواصلة التعليم دون إدانة لهذا الحمل السفاح.¹⁸

¹⁶ العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة التي أقامها مركز دراسات الوحدة العربية، طبعة ثانية، 1998.

¹⁷ مجلة البيان، ص92، محاولة الاختراق الإعلامي الأمريكي، العدد 2020، سنة 2006.

¹⁸ مستقبل العالم الإسلامي، تحديات في عالم متغير، تقرير استراتيجي سنوي يصدر عن مجلة البيان، الإصدار الثاني، 1425هـ.

وقد أفصح جارودي عن نوايا مقررات مؤتمر القاهرة في الرسالة التي وجهها للمؤتمر ونشرتها صحيفة الشعب في القاهرة بعددها 1994/9/16م.

والغريب أن رئيسة جمعية الأمهات الصغيرات في أمريكا تحذر المسلمين في مؤتمر القاهرة فتقول: "لقد دمروا المجتمع الأمريكي وجاؤوا الآن بأفكارهم للمجتمعات الإسلامية حتى يدمروها ويدمروا المرأة المسلمة ودورها فيه".

وقد عقد في نيويورك مؤتمر المرأة لعام 2000م، وقدمت فيه الدول المعولمة على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية المقررات السابقة وطلبت فرضها على العالم. والدول التي توقع على هذه المقررات ستكون ملزمة بتغيير قوانينها بما ينطبق على تلك القرارات الإباحية التي تؤدي إلى هدم الأسرة وإطلاق الحرية الجنسية وإبراز الشذوذ وشل سلطة الأبوين وحرية الإجهاض وإلغاء نظام الميراث.

وفي سبيل دفع تلك المقررات إلى الأمام دفعت حكومات العولمة الدوائر المالية العالمية المؤيدة إلى الدعم المالي من أجل الإسراع بتنفيذ تلك القرارات الإباحية والمحطمة للنظام الديني في رعاية الأسرة وتنشئتها.

وتنفيذ مخططاتهم في هدم كيان المجتمع الإسلامي من خلال المرأة لأهمية دورها في بناء كيان الأسرة والمجتمع وساروا في ثلاثة مسارات في آن واحد، وهي:

1- التمويل الأجنبي الأمريكي للجمعيات الأهلية النسائية، غير الإسلامية، من أجل تنفيذ مخططات إخراج المرأة المسلمة من الأخلاق الإسلامية.¹⁹

2- الاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية حقوق الإنسان وإزالة آثار كافة أشكال التمييز ضد المرأة (كذا بالنص)، وإلزام الدول الإسلامية بالتوقيع عليها مقابل إعفائها من بعض الديون التي عليها.

وإذا قرأنا البحوث التي تلقى في المؤتمرات التي تعقد في بعض البلاد الإسلامية، وجدناها جميعها تريد إخراج المرأة المسلمة من النظام الاجتماعي الإسلامي الذي ينظر إلى المرأة من خلال فطرتها واستعداداتها وكرامتها.

وهناك محاولات لتضليل الرأي العام وإيهام المرأة المسلمة أن القهر كله واقع عليها، وأن هذه الاتفاقية سترفع عنها الجور والظلم، وأن الأمم المتحدة ستحررها من سطوة مجتمعها مع أنها تريد هلاكها وهلاك مجتمعها.

3- مؤتمرات المرأة التي تحدثنا عنها قبل قليل والتي يقصد بها هدم المجتمعات البشرية، ولاسيما المجتمعات الإسلامية.²⁰

إن ما نشهده اليوم من عولمة شاملة لجعل كل البشر على صورة النموذج الغربي الأمريكي، وتفرغ المجتمعات من رصيدها الثقافي وتراثها الفكري لكي تصبح بلا جذور فيسهل اقتلاعها،²¹ أو لتسعى إلى الخلاص بطرق لاهوتية غريبة عن دينها ومنهجها، بعامل الحيرة واليأس.

والوسائل الإعلامية تعد اليد الطولى للغرب في عملية انتصار العولمة الثقافية، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي اتخذ ضحا جديدا لمعركة جديدة افتعلت سيناريوهاتها بخطط موجهة ضد ما أسموه بالاصولية والعنف والإرهاب والخطر الإسلامي، وأصبح التهمج على الإسلام على رأس الأولويات، وأما حرب المفاهيم والمصطلحات فلم تقف عند حد غسل الأدمغة، بل أخذت تظهر انعكاساتها في الواقع من خلال عولمة مفاهيم الأسرة وتحديد النسل، ومحو المقدس والقضاء على الثوابت والمسلمات الشرعية. وشؤون المرأة والطفل،

¹⁹ المرجع السابق.

²⁰ راجع أرقام تحكي العالم سلسلة كتاب: مجلة البيان.

²¹ عولمة أم أمركة، حسن قطامش، ص36، مكتب الطيب، مصر 1999.

وأخذت مفاهيم الحريم والعدالة والمساواة والديمقراطية والسلام وحقوق الإنسان...تروج كشعارات ومطالب عالمية ولكن بجوهر وتفسير غربي، وما يخدم السياسة الغربية ويحقق أطماعها.²²

ودخلت العولمة إلى كل بين لتصوغ المجتمع وفق التركيبة الغربية، فالبيتزا والمهمبرغر والكولا واللباس الغربي ووسائل الترفيه وألعاب الصغار والكبار والأندية الرياضية كلها تحسد الثقافة الغربية، كما أن أجيال اليوم تدرس وتتربى على علوم الغرب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، إنه انسلاخ عن الهوية بكل معاني الكلمة.²³

وبصمات العولمة الأمريكية في صعيد الأزياء والأطعمة والأشربة والعمارة ومستحضرات التجميل والسجائر والحلاقة وقصات الشعر وصناعة السينما والتنصير والغناء والطرب والموسيقى والرقص وبدعة الموندريال وعولمة الرياضة والسياحة، وتحريك الفتن والحروب الأهلية والقهر السياسي، وافتعال الأزمان...ونماذج العولمة الصهيونية فهي كثيرة تهدف لتخريب المجتمعات البشرية وتفكيك الوحدة الثقافية، وتكوين هويات جديدة وبناء جديد اصطناعي للمجتمعات البشرية، وهي وراء ترويج الأفكار والفلسفات والإلحادية والعلمانية والتفسير الجنسي للحياة وتأسيس ورعاية البنوك الربوية والفنادق والنوادي الليلية ونوادي عبادة الشيطان والانهيئات الاقتصادية ومافيا الجنس وتجارة الأطفال والمخدرات، والمصنعة الأولى لأفلام الدعارة ومحلات العراة والعنصرية والزواج المثلي والشذوذ، وتشجيع الانحراف والجريمة وتفكيك الأسر²⁴ وعولمة المناهج والعادات والتقاليد، وعولمة كل ذلك على شتى الأصعدة.

وخلاصة القول: إن العولمة في بعض مساراتها تستهدف الإسلام وثقافة المسلمين، لأسباب منها: ما تملكه بلادهم من مواد أولية هائلة يأتي على رأسها النفط والغاز وثروات طبيعية أخرى، لأن الحضارة الإسلامية بعقيدتها وشريعتها ونظام أخلاقها هي النقيض الوحيد الشامل لفلسفة العولمة. ولأن الطريق الوحيد لإخضاع الأمة الإسلامية يتمثل في القضاء على تفرد شخصيتها وإلغاء دينها، الذي يبعث فيها الثورة والرفض لكل أشكال الاحتلال والسيطرة. ولأن الحفاظ على إسرائيل في قلب العالم الإسلامي من أهم أهداف العولمة في بلاد العرب والمسلمين. وأن العولمة في كثير من زواياها تستند استنادا مباشرا إلى الحضارة الغربية المعاصرة التي توجهها المبادئ اللادينية الوضعية، ومن هنا فهي تنتشر الحياة المادي عبر شبكاتها الكونية، بأساليب في غاية الإغراء والتأثير في النفس الإنسانية وتفرغهم من أصول الإيمان، لأن أجهزة العولمة الكونية التي تلف حول العالم في كل لحظة، وتتسلل إلى البيوت على وجه الأرض كلها دون استئذان، تلعب بكيان الأفراد جميعا، وتثير أنشطتها الشهوات وتفجر الشبهات، وتزين عبادة الجسد وتشيع أنواع الشذوذ، وتحطم قيم الفطرة الإنسانية.

مواجهة العولمة والتعامل معها

إن الاستجابة لظاهرة العولمة تختلف في مساراتها واتجاهاتها من دولة لأخرى ومن تيار لآخر، ففي الوقت التي نرى بلدانا عربية تفرض خطرا على استخدام (الانترنت) ولا تسمح سوى لأجهزة الدولة باستخدام الشبكة، فإن هناك بلدانا عربية عكسها، وقد يقبل قطر معين بالعولمة الاقتصادية، لكنه يرفض العولمة السياسية، والتيارات الإسلامية بكافة اتجاهاتها تتشدد بشأن الهوية والتميز الثقافي بعمقها الديني، لكنها تستخدم تقنيات العولمة ووسائلها الحديثة، وهذا أمر يقتضي أن نناقش هذه القضية بإيجاز، وأن نشير إلى أهم الضوابط الشرعية في التعامل مع العولمة وشروط العولمة وشروط الانفتاح عليها، وسبيل استشراف المستقبل للتكامل الثقافي العلمي والحوار مع الآخر.

²² العولمة، د. عبد الكريم بكار، ص65، وما بعدها.

²³ الجات والتبعية الثقافية، د. مصطفى عبد الغني ص5، وما بعدها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999.

²⁴ الثقافة العربية في زمن العولمة، ص9+21، مرجع سابق.

إن نظرة فاحصة ومبصرة للعولمة باعتبارها ظاهرة عالمية كونية شاملة تغمر كرتنا الأرضية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والتعليم والثقافة والإعلام والآلات العسكرية، فهناك ما يزيد عن خمسمائة قمر صناعي تدور حول الأرض مرسله إشارات لاسلكية، تكرر العولمة، فيواسطة الصور المتحركة على شاشات أكثر من مليار جهاز تلفزيوني تتشابه الصور وتتوحد الأفكار والأحلام والأمان، بحيث قبل عن هذا الإعلام بأنه إعلام بلا وطن في فضاء بلا حدود. فلا يمكن أن يدعي عاقل أننا نستطيع أن نضع الأمة الإسلامية في علبه ونغلق عليها الباب، فالخطر لا يكمن في العولمة ذاتها، بقدر ما يكمن في سلبية المتلقي، وفي التوظيف الأيديولوجي للعولمة، ونجاح العولمة في الهيمنة والاختراق والتأثير، لا يتعلق بإمكانيات وقدرات الدول المتقدمة الفاعلة المصدرة للعولمة، بقدر ما يتعلق بقوة وضعف الدول الأخرى المتلقية. إن التعامل مع العولمة لا يعني الاستسلام الدليل وإنما التعامل القوي في توظيف بعدها التكنولوجي والاستفادة منه لمواجهة هيمنتها.²⁵

من المؤكد أن المستهدف بهذا الغزو الثقافي هم المسلمون. وذلك لعاملين:

- 1- ما تملكه بلادهم من مواد أولية هائلة يأتي على رأسها النفط والغاز وثروات طبيعية أخرى.
 - 2- ما ثبت لهم عبر مراكزهم وبحوثهم وجامعاتهم ومستشرقهم إن هذه الأمة مستعصية على الهزيمة، إذا ما حافظت على هويتها الإسلامية، من ثم فالطريق الوحيد لإخضاعها يتمثل في القضاء على تفرد شخصيتها وإلغاء دينها الذي يبعث فيها الثورة والرفض لكل أشكال الاحتلال والسيطرة.
- وأريد أنا على هذين العاملين مسألتين أخريين:

1- الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي، وهو من أهم أهداف العولمة في بلاد العرب والمسلمين.

2- الحضارة الإسلامية بعقيدتها وشريعتها ونظام أخلاقها وإنجازاتها التاريخية هي النقيض الوحيد الشامل لفلسفة العولمة ودينها وأنظمتها وقيمها الهابطة في هذه الدنيا التي نعيش فيها.

إن العولمة تستند استنادا مباشرا إلى الحضارة الغربية المعاصرة التي توجهها المبادئ اللادينية الوضعية التي لا تؤمن بوجود الله أو لا تسأل عنه أساسا، ولا تعترف بالعقائد الدينية الأخرى من الإيمان بالنبوات العامة وبنبوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ولا باليوم الآخر ولا بالغيبات الثابتة في النصوص القاطعة من كتاب الله وسنة رسوله. ومن هنا تنتشر الحياة المادية والإلحادية عبر شبكاتها الكونية بأساليب في غاية الإغراء والتأثير في النفس الإنسانية، فتؤثر في مئات الملايين من المسلمين مباشرة أو بصورة غير مباشرة، فتؤدي إلى الإنكار والتشكيك أو اللامبالاة بالعقيدة، أي أنها تفقد الإنسان المسلم كيانها عقلا وقلبا وروحا ونفسا وتفرغه من أصول الإيمان،²⁶ كما ذكرنا سابقا.

إن الأجهزة العولمية الكونية التي تلف حول العالم في كل لحظة، وتنتقل إلى البيوت على وجه الأرض كلها دون استئذان وتلعب بكيان الأفراد جميعا، تثير في أنشطتها الشهوات الجنسية، وتزين عبادة الجسد وتشيع أنواع الشذوذ، وتحطيم قيم القطرة الإنسانية والرفيعة، فتتناقض بذلك مع النظام الإسلامي الاجتماعي والأخلاقي الذي أراد الإسلام في ظله أن يبني أسرا مؤمنة عفيفة فاضلة ملتزمة.²⁷

إن العولمة ليست ظاهرة مؤقتة، ولا هي قضية محدودة، وإنما هي مؤامرة عالمية كبرى على البشرية، تقف وراءها دول قوية، وأموال جبارة وخبرة علمية تقنية عالية ومخططات ذكية للسيطرة رهيبه. فلا يمكن

²⁵ راجع كتاب: الحضارة التي حفر للإنسانية قبورها، لروحيه جارودي، وكتاب: أمريكا طليعة الانحطاط، لروحيه جارودي.

²⁶ الجات والتبعية الثقافية، ص51، د. مصطفى عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

²⁷ ظاهر العولمة، الأوهام والحقائق، د. محيي محمد مسعد، ص18، مكتبة الإشعاع الفنية، طبعة أولى، الإسكندرية، 1999، 0.

العولمة وانعكاساتها على العالم الإسلامي

والحالة هذه أن نحمل أنفسنا منها ونتعامل معها بقوة واستقلالية وذلك إلا إذا غيرنا حياتنا منطلقين من قوله تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}. سورة الرعد - الآية 11، واتباع الحقائق التالية:²⁸

- عدم الخروج على الثوابت القاطعة التي ثبتت بالوحي الإلهي، والتي لا يكون المسلم مسلماً موحداً إلا بها، وعدم السماح بمخالفتها في الثقافة والتربية والإعلام.

إن الإسلام يشكل المعادلة الأساسية الجوهرية في حياة الأمة، وأعداء الإسلام اليوم بوسائلهم الخبيثة كلما يريدون أن يضربوا هذا الأساس المتين، كي تضعف وحدة الأمة، فتستسلم إلى التبعية الذليلة وتتخلى عن العزة والوحدة والحقوق الأساسية.

إن تجربة قرن كامل في قيادة المجتمعات الإسلامية بمعزل عن النظام الإسلامي أثبتت للعلمانيين أنفسهم أنهم كانوا مخطئين في عزل الإسلام عن الحياة، فبدعوا يلتفتون شيئاً فشيئاً إلى دينهم الإسلامي بدرجات متفاوتة، ويدعون إلى عقد ندوات حوارية بينهم وبين الإسلاميين، وهذا في حد ذاته حالة صحية مطلوبة، لأن الأخطار التي تهدد الأمة من العولمة الصهيونية في بلاد الإسلام كلها لا سيما في فلسطين تستدعي اللقاء والحوار والتقارب حتى يصل الجميع إلى صيغة تجمع الكل على القضايا الجوهرية الواحدة في مواجهة تلك الأخطار وإلا فالعدو بالمرصاد، ويمكن أن يسد علينا نوافذ الضياء جميعاً.

- الحفاظ على الذات والأصالة والخصوصية الدينية والفكرية بتربية أبناء الأمة تربية مخططة تشعرهم بأنهم أبناء أمة التوحيد والإيمان وتنشئهم نشأة إسلامية، وتحصنهم فكرياً وأخلاقياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، بحيث يعلمون بيقين كامل أنهم متميزون عما يشاهدون. وبذلك يستطيعون أن يكتشفوا الباطل من الأقوال والأفعال والسلوك. وإن لم نفعل ذلك ونتعاون عليه في العالم الإسلامي كله، فسنباه فتنة عظيمة وفسادا كبيرا وذوبانا تدريجياً مؤكداً في طغيان إعلام العولمة الرهيب.

- الاهتمام بتربية الأسرة المسلمة وتثقيف أفرادها وتوجيههم من خلال أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ومن خلال المساجد وخطب الجمعة والدورات التربوية القرآنية المستمرة أو المؤقتة والمواظب والمحاضرات العلمية والتوجيهية.

- الاهتمام بالمناهج الرصينة في التربية الدينية، وكتب اللغة العربية، وكتب التاريخ والجغرافية والثقافة العربية والإسلامية والكتب العلمية الصرفة.

- الاهتمام بالمخيمات الشبابية الصيفية في القطر الواحد أو الأقطار العربية أو الإسلامية. والاهتمام بالمهرجانات العامة والمؤتمرات التي يجب أن تقام بين حين وآخر في القطر الواحد أو الأقطار المتنوعة.

- الاهتمام بالأنشودة الإسلامية والعروض المسرحية والأفلام في المسارح ودور العرض السينمائية، وغير ذلك من الوسائل التي تشترك جميعاً في تكوين أجيال تشعر بانتمائها الإسلامي وانتسابها الحضاري للأمة العربية والإسلامية.

ومن خلال وحدة المعرفة التي قامت عليها التربية الإسلامية التي تبغي صياغة الفرد صياغة إسلامية حضارية، وإعداد شخصيته إعداداً كاملاً من حيث العقيدة والذوق والفكر والمادة، حتى تتكون الأمة الواحدة المتحضرة التي لا تبقى فيها ثغرة تتسلل منها الإغراءات العولمية اللادينية الجنسية الإباحية.

إننا نحتاج في بلاد الإسلام كلها إلى أن نقوم بحملة إسلامية شاملة عبر مخطط حضاري معاصر، تشترك فيها الدول والمؤسسات الرسمية والشعبية والجمعيات والأحزاب جميعاً، لأن مواجهة العولمة من الخطورة بحيث يجب أن نتعامل معها من مواقع قوية تشهد على وحدة الأمة، وغاياتها النبيلة في هذه الحالة لخيرها ولخير البشرية جميعاً.

²⁸ راجع الثقافة العربية في زمن العولمة، ص11، د. أحمد مجدي حجازي، دار قباء، مصر، 2000. وانظر كتاب التمييز في حياة المسلم، عبد الله العنزي، ص20. وانظر: العولمة من منظور شرعي، د. عمار جندل ورفاقه، ص37، دار الحامد، عمان، طبعة أولى، 2002.

- السعي من أجل وحدة الأمة، إن الأوضاع البلاد الإسلامية المتأخرة في القرن الأخير شجعت المستعمرين على التقدم نحو احتلال بلاد الإسلام، ولم تقف المقاومة غير الموحدة وغير الحضارية في منع وقوع ذلك الاحتلال. فبذل هؤلاء الأعداء المحتلون جهوداً ثقافية إعلامية تريبوية كبيرة في سبيل نشر مبادئهم في الوسط الإسلامي. فأمن البعض بالمبادئ الرأسمالية الفردية، وآخرون آمنوا بالشيوعية، وجماعة ثالثة آمنت بالقومية ورابعة بالوطنية الديمقراطية وأخرى بالاشتراكية الثورية، وهكذا دون رجوع إلى محور إلهي ثابت بالقومية ورابعة بالوطنية الديمقراطية وأخرى بالاشتراكية الثورية، وهكذا دون رجوع إلى محور إلهي ثابت يتحكم إليه الجميع.

وتقبل الأفكار المفرقة للأمة في أسسها لم يأت فقط عن طريق الفرض الاستعماري فحسب، وإنما ظهر أيضاً نتيجة للاحتكاك الحضاري، بين أمة متأخرة جامدة غير منتجة للفكر والعلم والمدنية، وبين أمم استعمارية غربية قوية دخلت في العصر الحضاري الجديد، فأبدعت في التنظيم وبناء الحياة المادية أيما إبداع. فحصلت من هنا الكارثة الكبرى في بلاد الإسلام، حيث قانون تقليد المغلوب للغالب قد عمل عمله، وسقطت أجيالنا المتلاحقة أمام الأفكار المغرية التي أتتهم من الغرب، دون أن تكون لهم بها قوة في الوعي والتمييز.

إن الأمة إذا أخلصت لربها، وانطلقت إلى بناء الحياة من ذاتها، فإنها - بإذن الله - ستصل إلى ما تريد، دون مساعدة الأقوياء، وأماننا اليابان وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، فقد رفضنا المساعدة الخارجية المقيدة المشروطة، وواجهنا قديريهما بنفسيهما، ووصلنا اليوم إلى ما وصلنا إليه من القوة والحصانة. إن المتنافس أمام الدول الإسلامية يبدأ عبر الساحة الإسلامية ذات الامتداد الجغرافي والاستراتيجي والسكاني والمادي، بدءاً بالتكامل وانتهاء بالتوحد عبر سياسات منضبطة.

العالم الإسلامي يمتلك مخزوناً جباراً من رؤوس الأموال ومن الثروات الحيوية والمعدنية، بالإضافة إلى التلاحم الجغرافيين، والتكامل في الموارد، ولهذا لو قامت تجارة فعلية بين العالم الإسلامي لأمكننا الاستغناء عن العالم الخارجي - على الأقل - في الاحتياجات الاستراتيجية.

وهنا يبرز دور مؤسسات التكامل، سواء على مستوى الإطار الإسلامي العام كمنظمة المؤتمر الإسلامي، أو حتى على المستوى الإقليمي كالاتحاد المغربي ومجلس التعاون الخليجي، أو اتحاد جمهوريات وسط آسيا الإسلامية، أو على المستوى الوظيفي كمجموعة الدول الثمانية الإسلامية. لكن المثير للعجب أن دور هذه المؤسسات لم يزل مقصوراً على الدور الاستشاري، ولا يحمل أي صورة من الإلزام.

إننا بحاجة إلى بناء الإنسان المسلم بناء إيماناً قوياً راشداً، معتزاً بذاته، مغيراً لظروف حياته، عارفاً بظروف الأمم الأخرى، قادراً على نهوض حقيقي في مواجهة أخطار العولمة.

والشرط الأساس أن نعيد إليه الاعتبار، ونخلصه من الاستلاب السياسي الذي تعرض له خلال القرون الأخيرة كي يخطط لمشروعه الحضاري المتكامل، ليخدم نفسه ويخدم غيره.

- علينا جميعاً أن ندخل في العصر الحديث ليبنى مستقبل الأمة، فيقلل الحديث عن الماضي المفرق أحياناً.

هل من الإخلاص لله ولرسوله أن نرجع إلى واقعنا الجديد صراعات السلفية والصوفية والأشعرية والمعتزلة والحنبلية والجهمية، والسنة والشيعة، تلك الأفكار التي ذهبت مع صراعات عصرها، ولنا اليوم عشرات العضلات الحضارية الحديثة التي تنتظر الجواب السديد.

هل يفيدنا في مواجهتنا الحضارية الحديثة لبناء أمتنا الحلول الجزئية المرحلية الماضية التي أكل عليها الدهر وشرب؟

ألا يجب على الإسلاميين حتى يقتنعوا أهل الأفكار الغربية الممزقة بأحقية الحل الإسلامي، أن يعودوا إلى المنهج الشمولي في فهم الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً بأسلوب جديد ومنهج واع، يعتمد العلم والعقل لا غيرهما.

ضوابط التعامل مع العولمة وشروط الانفتاح عليها

نحن في عالم اكتسبت فيه الحضارة الغربية المركزية في الاختراع والعلوم الكونية، ويميل معظم الناس في العالم إلى تقبلها العلمي، باعتبارها النقطة المرجعية للتقدم التكنولوجي. ويجب علينا نحن المسلمين أن نستفيد من هذه العلوم وهذا التقدم. ومن الطبيعي أن يأخذ الإنسان ويعطي، ويقتبس ويختار من غيره. وكل حضارة أخذت وأعطت، ولم توجد قط حضارة أبدعت ولم تنقل، فالنقل ليس وباء وعاراً، وإنما هو غذاء وفخار.

والانغلاق الحضاري قاتل للإنسان، والتبعية الحضارية هي الأخرى قاتلة للإبداع، وليس عجيباً أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا، ولكن العجيب أن نظل عالة على أمم الأرض نأخذ منها ولا نعطي، والعزلة الحضارية والجهل صنوان، وكلامها تخلف، وعقبة في طريق التقدم والتطور المادي. والأمة الإسلامية، وهي تتطلع إلى مستقبل مشرق، لابد أن تخوض معركة الذات وتجديدها، وتستفيد من آليات الفكر الغربي ومنجزاته العلمية المعاصرة، طبق الضوابط التالية:

- إعطاء الحضارة الغربية حجمها الحقيقي وقيمتها الصحيحة.

- التمييز بين الحضارة الغربية (والاستعمار) الغربي.

- الحصانة والقوة والثقة بالذات.

قال تعالى: {فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم}. سورة الزخرف - الآية 23.

إن الحضارة الحديثة عاتية تجرف أمامها أقوى الأسوار والحواجز. وقيل أن نفتح الأبواب لها لابد أن تكون على متانة من الاستعداد الفكري والعلمي والروحي وعلى وعي في التعامل مع هذه الحضارة.

إن الثورة المعلوماتية التي أخذ المفكرون في العالم الصناعي يعتبرونها العلامة البارزة لانتقال مجتمعاتهم من مرحلة العصر الصناعي برمته، إلى العصر المعلوماتي باعتباره عصراً جديداً بميزاته وخصائصه الاجتماعية والفكرية، لا يستطيع أن يعيش فيه الإنسان بلا عدوى، وبلا مكروبات الحضارة شاء أم أبى، فمناخ الحضارات كمناخ الأجواء في تدافع مستديم، بين ضغط مرتفع وضغط منخفض. ولكن علينا أن نعي أن اختراق هذه الحضارة لا يتم لنا نحن المسلمين إلا بتحسين قلاعها، وتحسين إيمانها وأخلاقها، حتى تغلق وتحلق كالنسر بأجنحة متوازنة، جناح يحلق بالسنن الهادية، وآخر يحلق بالسنن البانية، وإلا بقيت حضارة عرجاء تسير برجل واحدة، وهذه مهمة المسلمين في هذا العصر، بأن يكونوا على مستوى عصرهم من القوة وتحمل المسؤولية في النهضة، وأن يتعايشوا مع فيروسات هذه الحضارة بقوة ومناعة وبقطة ووعي، وعقيدة وإيمان، دون أن يذوبوا، أو ينسحبوا من الحياة، أو يسمحوا لها باختراقهم، وعليهم أن يجعلوا من هذه الحضارة ميداناً لدعوتهم، لاحتواء هذه الحضارة وتصويبها وترشيدها على أسس إسلامية، وتوظيفها لتحقيق الوراثة الصالحة للحياة، والاستخلاف المطلوب لعمارة الأرض.

أهم النتائج والتوصيات

- هناك فرق كبير بين العولمة كفلسفة ومنهج حياة، وبين التكنولوجيا وتقنياتها ومنتجاتها ووسائلها الحديثة، فهذه الوسائل ليست نتاج العولمة، وليست هي العولمة، ولكنها تخدم العولمة.

- فلسفة العولمة تكمن في كون العالم أصبح وكأنه في بيت واحد أو قرية صغيرة، زالت بينه الحدود والسدود والحواجز بين الأمم والشعوب، بسبب ثورة الاتصالات وتدفق المعلومات، وأصبح الإنسان في هذا العالم الجديد، الذي فرض نفسه بنظامه وخصائصه، يؤثر ويتأثر بغيره، شاء أم أبى، وأصبح من الصعب أن يعيش الإنسان فيه في عزلة عن شركائه، ولا يمكن أن يدعي عاقل أننا نستطيع أن نضع الأمة الإسلامية في علبه فيه ونغلق عليها الباب.

- إن الخطر الحقيقي لا يكمن في العولمة ذاتها، بقدر ما يكمن في سلبية المتلقي، وفي التوظيف الأيديولوجي للعولمة، ونجاح العولمة في الهيمنة والاختراق والتأثير، لا يتعلق بإمكانات وقدرات الدول المتقدمة الفاعلة المصدرة للعولمة، بقدر ما يتعلق بقوة وضعف الدول الأخرى، وقابليتها للتلقي.

- إن التعامل مع العولمة لا يعني الاستسلام الذليل وإنما التعامل القوي في توظيف بعدها التكنولوجي، والاستفادة منه لمواجهة الهيمنة، وذلك بالحصانة والقوة والثقة بالذات، وإعطاء الحضارة الغربية حجمها الحقيقي وقيمتها الصحيحة، والتميز بين الحضارة الغربية والاستعمار الغربي، وتفعيل الدعوة والحوار الإسلامي بين الشعوب والحضارات، للوصول إلى قناعات جديدة للتعريف بالإسلام والاحترام المتبادل بين الشعوب {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.

- إن العولمة في كثير من زواياها تستند استنادا مباشرا إلى الحضارة الغربية المعاصرة، التي توجهها المبادئ اللادينية الوضعية، ومن هنا فهي تنتشر الحياة المادية عبر شبكتها الكونية، وتثير أنشطتها الشهوات وتفجر الشبهات، وتسحق المقدس، وتحطم الثوابت وقيم الفطر الإيمانية، لذا فإنه لا بد من الأخذ بالحقائق التي نبهنا إليها في البحث، لتسحين التنافس نحو خير الإنسانية، والوعي لشروط الانفتاح على العولمة والضوابط الشرعية، لسبل استشراف المستقبل للتكامل الثقافي العلمي والحوار مع الآخر.

- إن التعامل مع العولمة في ترتيباتها الاقتصادية وسيطرتها الثقافية لن يمر على أرض مفروشة لها بالزهور والورود، وإنما ستصطدم بفطرة تكوين المجتمع الإنساني وبنيتة ونسجه من لغات متعددة وأديان متباينة، وثقافات متنوعة، وفي هذا الاختلاف قال تعالى: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}. سورة هود - الآية 119.

- إن إخضاع البشرية لطريق واحد، وحضارة أو ثقافة واحدة بعيدة عن منهج الله وصراطه المستقيم أمر مستحيل، لأن تلك المحاولة ستفجر المجتمعات الإنسانية، وتستفز مشاعر الشعوب من الداخل، وتثير الصراع والحروب، حسب القانون الرباني وسنن الله في الدفع وصدق الله العظيم حيث يقول: {وتلك الأيام ندولها بين الناس}. سورة آل عمران - الآية 14.

والحمد لله أولا وأخيرا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهم المراجع

- العالمية الإسلامية الثانية، د. محمد أبو القاسم حاج حمد، دار ابن حزم، طبعة ثانية، بيروت 1996.
- العولمة الجديدة، سيار الجميل، طبعة أولى، بيروت 1997.
- الثقافة الإمبريالية، إدوارد سعيد، طبعة أولى، دار الآداب، بيروت 1997.
- التميز في حياة المسلم بين النظرية والتطبيق، عبد الله العنزي، طبعة أولى، دار المسلم، الرياض 1998.
- الثقافة العربية في زمن العولمة. د. أحمد مجدي حجازي، دار القباء، مصر 2000.
- التاريخ والهوية: د. إسماعيل نوري الربيعي، دار الحامد، عمان طبعة أولى بدون تاريخ.
- عولمة أم أمركة، حسن قطامش، مكتب الطيب، مصر 1999.
- ظاهرة العولمة، الأوهام والحقائق. د. فتحي مسعد، مكتبة الإشعاع، الإسكندرية 1999.
- ظاهرة العولمة، رؤية نقدية، د. بركات محمد مراد، كتاب الأمة، عدد 86، قطر.
- العولمة من منظور شرعي، د. عمار جبدل ورفاقه، دار الحامد، عمان 2002.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار القلم، دمشق.
- الإيمان والحياة. د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ذاتية الأمة الإسلامية، محمد المبارك، دار الفكر بيروت.
- العرب والعولمة، جلال أمين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998.
- قضايا الفكر المعاصر. د. محمد عابد جابري، مركز الدراسات العربية، بيروت 1998.

- الجات والتبعية الثقافية. د. مصطفى عبد الغني، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1999.
- العولمة من منظور إسلامي، د. محسن عبد الحميد.
- مستقبل العالم الإسلامي، تحديات في عالم متغير، تقرير استراتيجي سنوي يصدر عن مجلة البيان سنة 1425هـ.
- العولمة، طبيعتها - وسائلها - تحدياتها - التعامل معها. د. عبد الكريم بكار. دار الإعلام. عمان 2000.
- محاولة الاختراق الإعلامي الأمريكي (مجلة البيان، عدد 220، سنة 2006).
- الحضارة التي تحفر للإنسانية قبورها، روجيه جارودي.
- أرقام تحكي العالم، سلسلة كتاب، مجلة البيان.